

قلت: واقع الأمر أن دائرة الفساد أوسع من فرنسا، بل لعل الترف وما إليه لازمة من لوازم الحضارة القائمة.

قال: ((وهو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيئا ويذيق بعضكم بأس بعض)).

قلت: يبدو أن الإنسانية قد استحقت هذا العذاب ينزل بها من فوق ومن تحت وتلبس شيئا ويذوق بعضها بأس بعض.

قال: استحقت وحق بها الوعيد وإن كنت لا ترى فإن من تمام البلاء أن المبتلى يغفل عن كونه واقعا فيه.

قلت: لست أدري من الكتاب الأوروبي الذي صور حال جماعة من الفلاسفة ظلوا حيناً من الزمن يتناقشون في عذاب جهنم ثم ماتوا فكانوا لها وقوداً، إلا أنهم مع هذا أخذوا في مناقشتهم، وكأنهم ما زالوا من أبناء الدنيا، وكأنهم لا تلفح وجوههم النار وهم فيها كالخون.

قال: وكأن ذاكرتك لا تعي، وعقلك لا يدرك، وحواسك لا تحس شيئاً إلا أن ينتسب إلى أوروبا ... إنه المسخ في أوضح صورته ... كانت الناس في العصر الخوالي لا تتصور المسخ إلا أن يصبح الإنسان أو يمسي ماشياً على أربع قرداً أو خنزيراً، ولكن شيخك يرى المسخ في العقول والفطر لا في الأجسام والصور، ولو نظرت بعيني لرأيت قردة وخنازير تمشي على رجلين.

قلت: معني هذا أن من حاكى الأوروبيين محاكاة تامة كان في نظركم قرداً يمشي على رجلين.

قال: يتم المسخ وينقص بقدر ما تتم المحاكاة وتنقص.

قلت: ولكننا مع هذا إذا لم نحاك الغرب، فنحن قاعدون مع الخوالب من الأمم الميته.

قال: هذه مغالطة لا تخفي على البليد بله الأريب، فإن العلم ووسائل القوة التي تنأي بك عن الخوالب ليست غربية ولا شرقية، وأمامك التاريخ فاقراً تجد المعرفة